

تطور الحوادث في الجزيرة

وسنده في الأفق الدولي

للاستاذ محمد عبد الله عنان

أسفرت المعارك التي نشبت في الأسبوعين الأخيرين في مضاب عسير وتهامة بين القوات السعودية والقوات البانية عن نتائج خطيرة حاسمة فيما يظهر ؛ فقد استطاعت القوات السعودية أن تتوغل في نجران وفي عسير بسرعة مددشة ، وأن تستولى على منطقة واسعة في شمال اليمن تشمل عسيرا ونجران وجميع الجهات والمواقع التي كانت موضع النزاع بين البلدين ، وأن تقدم بعد ذلك في أراضي اليمن ذاتها بجذء البحر الأحمر حتى نجر الحديدة ، وهو أهم الثغور البانية ، وأن تستولى عليه بعد أن فرت منه قوات الامام التي كان يقودها ولده وولى عهده سيف الاسلام . وقد كنا نؤمل حين كتبنا مقالنا الأول عن هذه الحرب التي تضطرم بها الجزيرة العربية ، أن يكون لصوت العالم العربي والاسلامى أثره في تدارك هذا الخلاف الخطر ، وفي وقف المعارك قبل استفحالها . وقد رفع العالم الاسلامى صوته قويا بمناشدة الزعيمين أن يتدعرا بالزوية والحسن في حسم النزاع القائم بينهما ، وسافر الى مكة وفد عربى اسلامى يمثل عدة من الأمم العربية لتحقيق هذا المسمى . ولكن الظاهر أن سير الحوادث لم يفسح مجالا للتفاهم الحسن بين الملكيين ؛ وقد كان جلالة ابن السعود يشترط لوقف القتال شروطا يراها لازمة لسلامة حدوده وسلام مملكته ، وهى جلاء القوات البانية عن نجران ومواقفها الجبلية ، وإطلاق الرهائن ، وتسليم الادارة ؛ ولكن سيادة الامام يحجب لبث حينا يتردد بين القبول والاعتراض ؛ وحدث في تلك الفترة أيضا أن تقدمت القوات البانية في نجران وعسير واحتلت مواقع جديدة ؛ وأيقن ابن السعود بعد طول المكاتبة والمفاوضة أن الامام لا يريد اتفاقا ولا يسلم بشئ من مطالبه . ويبدو من مراجعة الكتاب الرسمى الاخير الذى أذاعه

حالا ، وأهدأ بالا ، وأكثر استعدادا للرقى ، وهل الأمة الا بمجموعة من الاسر ؟ وهل رقى الأمة الا حاصل جمع رقى الاسر ، وكما أن أسرة قد تكون اسعد من أسرة مع ان دخلها أقل وثروتها أضعف ، ولكن عقلها أكبر ، وتصرفها لما لها أدق ، فكذلك الأمم ليس خيرها أغناها ، ولكن خيرها من عرفت كيف تستخدم ماله وأحاطت بملك بوسائل اجتماعية ، وكيفية كبيرة من الاصلاح تجعل ماله يتضاعف في القيمة وان لم يتضاعف في العدد . فكم من الأمم لها ثروة كبيرة طبيعية ولكن لم تعرف كيف تستخدمها ولا حزم منها ، ولو حلت محلها أمة أخرى لصيرت صحراء باستانا وجبالها جنانا ، ولجعلت ترابها ذهباً وأرضها عجبا

ومن أجل هذا لم يخطئ كثيراً من سحر مقياس رقى الأمة في مقدار تغلبها على طبيعة بلادها وتعديل نفسها حسب ما يحيط بها — لأنها لا تصل الى ذلك الا بمقدار كبير من العلوم الطبيعية يمكنها من الانتفاع بارضها وجوها وبقدر وافر من العلوم الاقتصادية يبين لها كيف تستغل منابعها ، وبمقدار صالح من النظم السياسية والاجتماعية والاخلاقية يهيئ للفراد سبل الانتفاع بما حولهم ويعدم خيرا عداد للنظر في مصالحهم . فليتساءل الشرقى في ضوء هذا : أين هو في نفسه ، وأين هو في أمته ، وأين أمته في العالم ؟

أحمد أمين

مجموعة السنة الأولى للرسالة

لدى الادارة مجموعات مجلدة من السنة الأولى للرسالة تباع بخمسة وثلاثين قرشا غير اجرة البريد في مصر وبخمسین قرشا في البلدان الأخرى

لها . وافتح في ذلك الحين منطقة شمر في شمال نجد وانتزعها من يد خصمه ومنافسه ابن الرشيد ، وبدأت إمارة نجد تتخذ مكانها وأهميتها في شئون الجزيرة العربية . وفي سنة ١٩٢٤ غزا ابن السعود الحجاز واستولى عليها من يد الحسين بن علي ملكها يومئذ ، وامتدت حدود نجد حتى ساحل البحر الأحمر ، وقامت من ذلك الحين مملكة نجد والحجاز القوية ، واعترفت بقيامها الدول وفي مقدمتها بريطانيا العظمى . وكانت السياسة البريطانية خلال هذه المراحل كلها ترى في ابن السعود صديقا لها ؛ ولم يشب هذه العلاقات الودية شيء من الكدر الا في سنة ١٩٢٨ إذ اغارت بعض القبائل النجدية على حدود العراق ، ونشب الخلاف بين الفريقين على مسألة غنجر الحدود ؛ ثم سوى الخلاف وعاد التفاهم بين الفريقين .



ولكن المملكة السعودية قد غدت في الجزيرة العربية قوة يخشى بأسها ، وهي تدل اليوم على قوتها مرة أخرى بذلك الغزو السريع لنجران وتهامة ، ثم شمال اليمن واستيلائها على نفوذ جديدة على البحر الأحمر ، وقد لا تقف القوات السعودية في زحفها حتى يتم استيلائها على بلاد اليمن كلها ، وتنفذ اليمن كالحجاز ولاية جديدة في المملكة السعودية الكبرى : واجتماع الأمم العربية داخل الجزيرة تحت هذا اللواء القوي يثير روحاً جديداً في القضية العربية ويثير فكرة الجامعة العربية ، ويحيي الآمال في تحقيقها . والسياسة البريطانية لا تنظر إلى هذه التطورات بعين الارتياح لانها تزيد في متاعبها حيثما تبسط سلطانها على أطراف الجزيرة العربية ، والسياسة الفرنسية التي تسهر على مصادر سوريا

الحكومة السعودية عن سير المفاوضات والمكاتبات بين الملكين أن ابن السعود تذرع بكثير من الروية والأناة في محاولة إقناع الامام باحترام المعاهدات المعقودة والحالة الواقعة . وتدل وثائق الكتاب الاخير أيضاً على أن عوامل التحريض كانت تعمل عملها في عسير ونجران لدفع قبائلهما الى الثورة على عمال الحكومة السعودية وأصدقائهما . إزاء هذه العوامل والظروف لم ير ابن السعود بداً من الالتجاء إلى القوة المادية ؛ فزحفت القوات السعودية في نجران وتهامة صوب الجنوب ، واستولت على جميع مواقعها واتتهت كما تقدم بالاستيلاء على نجر الحديدة ، وانهارت في الحال كل التدابير التي اتخذها الامام للحرب والدفاع ، وأضحت اليمن تحت رحمة القوات السعودية التي تطوقها من الشمال والغرب . وتطور الحرب بين ابن السعود والامام على هذا النحو يثير احتمالات ومسائل في متبى الخطورة ، سواء في داخل الجزيرة العربية او خارجها ، ولا سيما اذا استمرت القوات السعودية في زحفها على اليمن واتتهت بالاستيلاء عليها . ذلك أن ابن السعود الذي يسيطر على قلب الجزيرة العربية من الاحساء وعمان شرقاً الى ساحل البحر الأحمر غرباً ، ومن بادية العراق وشرق الاردن شمالاً حتى الربع الخالي جنوباً ، يغدو باستيلائه على اليمن سيد الجزيرة المطلق ، والمسيطر على الساحل الشرقي للبحر الأحمر كله من العقبة حتى مضيق باب المندب . وقيام امبراطورية عربية قوية على هذا النحو تشمل نجد والحجاز واليمن مما يثير اهتمام السياسة البريطانية ومخاوفها . وقد كان تهدم المملكة السعودية في الاغوام الاخيرة موضع اهتمامها دائماً . ذلك أن المملكة السعودية تجاور مناطق النفوذ البريطاني والاملاك البريطانية في جميع أنحاء الجزيرة العربية ؛ فهي تجاور عمان والكويت من الشرق ، والعراق وفلسطين وشرق الاردن من الشمال ، واذا تم ضم اليمن اليها ، فإنها تجاور عدن وحضرموت من الجنوب . وعلاق ابن السعود مع بريطانيا العظمى ودية حسنة . وقد نظمت منذ سنة ١٩٢٢ بمعاهدة المحمرة ثم ببروتوكول العقير . بل إن علائق الصداقة بين ابن السعود وبريطانيا ترجع الى ما قبل عشرين عاماً ، اعني الى ما قبل الحرب الكبرى . وكان ابن السعود يومئذ اميراً محلياً ، فرأى في اتصاله بالسياسة البريطانية وسيلة لتحقيق مشه ، عاته ؛ وحالف بريطانيا العظمى على التبرك ، ولزم الحياد أثناء الحرب ريثما يهد

بابن السعود وصراحتة وعهوده التي برهن في فرص عديدة أنه يحترمها ويعمل على تنفيذها ، ولا نعتقد أن ابن السعود يفكر في الوقت الحاضر على الأقل في الاقدام على مناوأة سياسة بريطانيا أو مصالحها في أية منطقة من المناطق التي تسيطر عليها في أطراف الجزيرة ، لأن ابن السعود يحرص دائما على صداقة بريطانيا . وربما كان الانكليز يؤثرون دخول اليمن في طاعة ابن السعود ، ويؤثرون سياسته القائمة على الحزم والصراحة وحسن التقدير ، على سياسة رجل كالامام يلقون من صلابته وتردده وعدم اعتباره بالحقائق الواقعة كثيرا من المتاعب في عدن وولاياتها المشمولة بالحماية البريطانية . هذا الى أن ابن السعود قد صرح على لسان ممثله في لندن أن يحترم الحقوق القائمة والمعاهدات المعقودة ويذل وسعه لحماية ارواح الاجانب ومصالحهم في البلاد التي تفتحها جيوشه ، ولا ريب أنه في حالة استيلائه على اليمن سيحترم نصوص المعاهدة اليمنية البريطانية الأخيرة ، وسيحترم الحالة القائمة في ولايات عدن المحمية ؛ ومن جهة أخرى فإنه لن يفوت الانكليز أن يتمزوا فرصة انشغال الامام بغزو أراضيه فيعملوا على توسيع احتلالهم لتلك الولايات بما يطابق خططهم التي لبث الامام طويلا يقف في سبيلها .

ليس هنالك اذا ما تخشى وقوعه من جانب السياسة البريطانية للتأثير في مجرى الحوادث الحاضرة في جزيرة العرب . وهذا ما تؤيده التصريحات الرسمية التي ادلى بها السير جون سيون وزير الخارجية البريطانية في مجلس العموم في شأن حوادث الجزيرة العربية ، فهو يؤكد فيها أن بريطانيا العظمى ستقف ازاء هذه الحوادث موقف الحياد الدقيق وأن اجتماع السفير البريطاني بابن السعود لم يكن يقصد به الا التأكيد من حياة المصالح البريطانية والرايا البريطانيين في الجهات التي تفتحها القوات السعودية . وهذا ما تؤيده أيضا الصحف الانكليزية وأقوال الكتاب السياسيين وتنويههم بحزم ابن السعود ومقدرته وصداقته لبريطانيا العظمى

أما السياسة الإيطالية فهي على العكس تخشى تطورات الحوادث الحاضرة وترى فيها خطرا على مشاريعها ومصالحها حسبما بينا . وقد كان الامام صديق السياسة الإيطالية ، وكانت إيطاليا تتمتع في اليمن بمركز خاص تعلق عليه أهمية كبيرة لتنفيذ مشاريعها في بلاد العرب ، فسقوط اليمن في يد ابن السعود يقضى على هذه الآمال والمشاريع ، وقد أرسلت إيطاليا كما أرسلت انكلترا بعض

نخشي أن يثير هذا الروح المعنوي الجديد في الوطنية السورية قوة جديدة ، ويزيد في متاعها في سوريا . هذا ومن جهة أخرى فإن السياسة الإيطالية ترتب تطور الحوادث في اليمن بمنتهى الاهتمام والجزع أيضا . وللإساسة الإيطالية في اليمن مركز خاص ، وإيطاليا في اليمن مطامع لا تحصى . وقد نظمت العلاقات من سنة ١٩٢٨ بين الامام يحيى وإيطاليا وعقدت بينهما معاهدة تجارية اقتصادية ، وأخذت إيطاليا من ذلك الحين تعمل بكل الوسائل على تقوية نفوذها في اليمن ؛ والسياسة الإيطالية لم تكن بعيدة عن موقف الامام في الحوادث الأخيرة ولم تكن بعيدة عن شد أزره بالمال والرجال والذخائر في الحرب التي مستشب بينه وبين ابن السعود . ثم يجب ألا ننسى أن مستعمرة أريتريّة الإيطالية تقع تجاه اليمن على الضفة الغربية من البحر الأحمر ، فاستيلاء ابن السعود على اليمن يقضى على مشاريع السياسة الإيطالية في اليمن ، ويجعل ساحل المستعمرة الإيطالية عرضة لأخطار جديدة ، ويضع حدا للتوسع الإيطالي في تلك المنطقة .

والسياسة البريطانية تقف اليوم موقف التريث والانتظار ؛ ولكن في اجتماع السفير الانكليزي في جده بابن السعود ، حسبما نقلت اليها الأنباء الأخيرة ، ومحدثته إياه في الاحتمالات التي نشأت عن انتصار الجيوش السعودية ، وعما اذا كانت تنوى التقدم بعد في قلب اليمن — في ذلك ما ينم عن اهتمام السياسة البريطانية بتطور الحوادث على هذا النحو ؛ وربما عن قلقها أيضا . ذلك لأن اليمن تجاور منطقة عدن البريطانية وتشرف عليها من الشمال والغرب ؛ ولعدن أهمية حرية خاصة فهي مفتاح باب البحر الأحمر من الجنوب ، ومفترق الطريق الامبراطوري البحري الى الهند والشرق الأقصى ؛ فوقع اليمن في يد زعيم قوى كابن السعود قد يهدد مركز بريطانيا في عدن ، أو في بعض ولاياتها المحمية المجاورة لليمن ، وهي التي كانت منذ بعيد موضع خلاف بين الامام والانكليز ، ثم سوى منذ أشهر بمعاهدة الصداقة البريطانية اليمنية . ومسألة المواصلات الامبراطورية من أدق مهام السياسة البريطانية .

يد أنه إذا كانت السياسة البريطانية تقف موقف الانتظار والتحوط ازاء تطور الحوادث في الجزيرة العربية . فليس هنالك على ما نعتقد ، ما يدعوها للتدخل المباشر في سير هذه الحوادث . فعلاقت ابن السعود وبريطانيا مازالت حسنة . والانكليز يتقون

الوصول الى صنعاء والاستيلاء على اليمن . واذا فكل ما يمكن
للسياسة الايطالية ان تقوم به في الوقت الحاضر ، هو أن تحاول
المضي في خطتها من معاونة الامام بالاسلحة والذخائر والاموال
على أنه يبقى بعد ذلك كله ان تتسائل عما إذا كان ابن السعود
يعتزم حقا ان يستولى على صنعاء . وان يتم غزو اليمن . ان الجيوش
السعودية تقف الآن عند الحديدة من جهة البحر ، وتطوق شمال
اليمن ، وليس في الانباء الأخيرة ما يدل على أنها ستتابع زحفها
في الحال ، بل يرجح ان تنظر حينئذى تم اهبتها وتقوى مؤخرتها
وقد يرى ابن السعود في تلك الاثناء ما يقنعه بالوقوف عند هذا
الحد من الظفر وارغام الامام على قبول شروطه ومطالبه ؛ وقد ينزل
عند صوت العالم العربي والاسلامى فيقبل وقف الحرب والاتفاق
مع الامام ، اذا رأى أنه يستطيع بذلك اجتلاء جميع الثمرات التي
يخوله الظفر اجتئاماً .
وسرى في الاسابيع المقبلة ما تسفر عنه هذه التطورات الخطيرة
في مصائر الجزيرة العربية .

محمد عبد الله عنان
المحامى

بوارجها الى مياه اليمن لحماية مه الحيا . ولكن هل تذهب ايطاليا
الى أبعد من ذلك فتحاول التدخل المباشر في سير الحوادث في اليمن ؟
من المعروف ان ايطاليا كانت تمد الامام بالاسلحة والذخائر
والضباط الفنيين ، ولكن استيلاء انقوات السعودية على الحديدة
وساحل اليمن كله تقريباً يقفل هذا الباب في وجه ايطاليا ويقطع
هذا العون عن الامام . ولنا نعتقد ان ايطاليا تستطيع الاقدام
على مثل هذه المغامرة في الظرف الحاضر ، فتحاول الدفاع عن اليمن
والاشتباك مع القوات السعودية الغازية في حرب لا تؤمن عواقبها ،
اولاً لأن بريطانيا العظمى لا تستطيع السكوت على مثل هذا التدخل
ولا بد ان تقاومه بكل قواها ، وليس من اليسير ان تقدم ايطاليا
على تحدى بريطانيا العظمى في مثل هذه الظروف التي يفيض فيها
الاتق الدولي بالمشاكل الخطيرة ، وثانياً لأن ايطاليا تعلم من تجاربها
القاسية في طرابلس ، ان الاعمال الحربية في الصحارى والمضارب
ليست يسيرة على الجنود الاوربية ، وقد كانت هضاب اليمن
مدى أجيال حصوناً مغلقة في وجه الجيوش العثمانية المدبرة على
ارتياك الهضاب الوعرة ، ومن المرجح ان تلقى الجيوش السعودية
ذاتها ، وهي جيوش الصحراء ، صاعاباً كبيرة قبل ان تستطيع

أقدم مكتبة في الشرق العربي

مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

(تأسست سنة ١٨٥٦)

بها أكبر مجموعة للكتب الدينية والعربية
ترسل فهارسها لمن يطلبها ، ولها نشرات خاصة بالمطبوعات العصرية .

العنوان

مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

صندوق بركة الغورية رقم ٧١